صرح بابل المدرج أو (الزقورة)[1]

بقلم الدكتور محمود الامين

اسمه عند البابليين إي تميناكن E-Temenanki أى قاعدة السماء والارض • وقد ورد وصفه فى الكتابات المسمارية وتدوينات المؤرخين التى ساعدت البعثة التنقيبية الالمانيـة أثنـاء حفرياتها فى بابل فى مستهل القرن العشرين على تتبع أسسه ومعرفة المساحة التى كان يشغلها هذا الصرح • وقد ذهب معظم معالمه لا سيما بعد أن امتدت أيدى السكان المحيطين بمدينة بابل الى أنقاضه فاستعملوها فى بناء البيوت ومن جملتها بلدة الحلة • ويمكن مشاهدة آثار هذا الصرح التى لاتعدو عن بقايا حفر كثيرة يستدل منها على شكل هيكله العام الذى كان مبنيا باللبن وبشكل مكعب بقي من طول ضلعه حوالى ٦٠ مترا • كذلك يمكن رؤية بقايا ثلاث طبقات من مدرجاتـه فى الجهة الجنوبية الشرقية • وقد أيدت نتائج الحفريات جميع ما ذكره البابليون من وصف لهذا الصرح العظيم الذى كان يعد من عجائب الارض السبعة • وتمكن الاثريون والمؤرخون عن طريق الوصف الذى دونه البابليون عن مدينتهم بابل ومعابدها وزقورتها وكذلك من أخبار المؤرخين والرحالـين الذين زاروا بابل فى أواخر أيام عزها ، من معرفة شـكل الزقورة وعدد طبقاتها وارتفاع كل طابق منها • ونشر عـدد كثـير من المختصين بتاريخ الحضارة العراقية القديمة وصفا ضافيا عن برج بابل معتمدين فى استخلاص هذه المعلومات على الكتابات المسمارية وكتب المؤرخين القدامى من اليونان والرومان أمثال هيرودوت وديودور •

---

(١) الزقوة ومعنـاها فى الآشورية زكوراتو وتعنى المعبـد المدرج الشامخ فى الارتفاع • وتتضمن كلمة تدبب أو القمة Zigatu ولعـل كلمة زكوغ (ر) السائدة فى اللهجة الموصلية والتى تطلق على كتلة متماسكة من الجص تشير الى الاصل الآشورى • كذلك تعنى كلمة زكاتو الحجر الخاص ببناء الزقورة (راجع القاموس الآشورى لمؤلفه Bezold) •

لا نعرف بالضبط متى بنيت زقورة بابل وقد كانت بلا شك قائمة فى زمن الدولة البابلية الاولى (١٨٣٠-١٥٣٠ ق٠م٠) التى رفعت الاله مردوك الى مرتبة رئيس الالهة فى قصة الخليقة البابلية التى أخذوها عن السومريين ووضعوها بالصيغة التى أرادها كهنة بابل ليكون إلههم مردوك البطل الوحيد بين الآلهة الذى قضى على تيامت الهة الفوضى والاضطراب عند بدأ التكوين٠ ويظهر من النصوص والتراتيل الدينية أن الآلهة التمسوا مردوك عقب انتصاره على تيامت ، وهى أن يسمح لهم لأن يبنوا له معبدا وصرحا مدرجا ٠ وقد أتموا بناء المعبد إيزاگلا بما فيه قدس الاقداس وكذلك بناء الزقورة ومعابد صغيرة أخرى لهم ، فى سنة واحدة وأقاموا له حفلة تدشين رائعة ثم نصبوا عرشه وقوسه فى السما ٠[٢]

وقد وردت الاشارة الى المعبد إيزاگلا والزقورة فى الملحمة الشعرية البابلية لقصة الخليقة البابلية بالمعنى التالى :-

« نريد أن نبنى بلاطا للآلهة ، يسمى باسمك ،
ليكون سكنا لنا نأوى اليه للراحة ،
ونريد أن نبنى بلاطا للآلهة ليكن بيتا لك ،
لكى نستريح فيه عند زيارتنا لك ٠ »

على أن أخبار الملوك الذين سبقوا قيام الدولة البابلة الاولى تشير الى وجود الزقورة قبل قيام الدولة الاكدية حوالى سنة ٢٣٥٠ ق٠م٠ ومن المحتمل أن تكون أسسها الاولى قد شيدت فى أواخر عصر فجر السلالات أى حوالى ٢٦٠٠ق٠م٠ وأنه تطور الى هيكل الزقورة أو المعبد المدرج بنفس الطريقة التى تطورت فيها المعابد المدرجة فى عهد سلالة أور الثالثة ٢٠٥٠

---

(٢) راجع :-

E. Unger, Babylon, p. 191-200; WVDOG 48, Tf. 9; Herodot, II. 109; Diodor, II, 29, 1 ff.; VAB, VI, 38 ff., Meissner, Babylonien und Assyrien II, 180.; Frankfort, Art und Architecture in Mesopotamia, p. 52.

ق٠م٠ كما فى زقورة أريدو وأور والوركاء ونفر وبورسيبا وغيرها من المدن السومرية • اتخذت لها مخطط معبد الاله آنو فى الوركاء أساسا لهذا التدرج • فقد ظهر أن أقدم أسس صرح بابل المدرج يعود الى هذه الفترة (٢٦٠٠ ق٠م٠)

ان أقدم الوثائق التى لدينا عن تاريخ تجديد بناء زقورة بابل تعود الى زمن الملك الاكدى نرام سن (٢٢٧٠-٢٢٣٣ق.م) حيث تذكر بأنه جدد صرح بابل ومعبد ايزاكلا وأضاف اليهما مبانى جديدة • كذلك فعل ابنه شركالى شرى (٢٢٣٣-٢٢٠٨ق.م)[٣] • ويظهر أن زقورة بابل كانت تتكون منذ أواخر الالف الثالث قبل الميلاد من سبع طبقات ، بعدد السموات السبع وكانت تشتهر بهذا الاسم أيضا • فقد ذكر گوديا الحاكم الكاهن لمدينة لگش الذى حكم حوالى سنة ٢٠٠٠ ق٠م٠ أنه بنى البيت (المعبد) المكون من سبع طبقات ورفعه عاليا فى السماء [٤] • وذكر أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة سنة ٢٠٥٠ق.م أن زقورة بابل كانت قد تهدمت ومن المحتمل أن يكون ذلك نتيجة للتخريبات التى أحدثها الگوتيون فى البلاد اثر احتلالهم لها • فشيدها ورفعها عاليا وكذلك اقتدى بعمله ابنه شولگى [٥] • وصار ملوك بلاد وادى الرافدين بمرور الاجيال يوجهون اهتمامهم ورعايتهم فى تعمير زقورة بابل فيجددونها ويبنون ما تهدم منها تقربا للاله مردوك وكسبا لمرضاته ومرضاة سكان المدينة •

تعتبر الزقورة فى نظر سكان العراق القدامى حلقة الوصل بين السماء والارض ، فقد أطلق عليها السومريون اسم دور ـ آن ـ كى ، وسماها البابليون ركسى شمى وإرصيتى (قاعدة السماء والارض) • وكانت فى

---

(٣) راجع :ـ

Hilprecht, The Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania (B.E.) I, 2, 23 ff.;

(٤) راجع :ـ VAB, I, 142, y., 84, p., 15.

(٥) راجع :ـ dto. IV, 250, I, 12 ff.; B.E. I, 216.

اعتقادهم طريق الآلهة الى الارض ومستقرهم عند نزولهم من السماء ولذلك فقد كانت تمتاز بقدسية رفيعة في معتقدات السومريين والاكديين والبابليين والآشوريين • ولكى ينتقم كل فاتح جبار من سكان بابل ، كان يعمد الى هدم الزقورة ليقطع بذلك طريق الاله ويمنع نزوله الى السكان • ولذلك فقد كانت زقورة بابل معرضة لنقمة الاعداء ولا سيما الآشوريين • فهناك أخبار تاريخية من القرن السابع قبل الميلاد عن الكوارث التى حلت بها على يد الملوك الآشوريين العظام المتأخرين وكذلك الملوك الاخمينيين • ففى سنة ٦٨٩ ق•م• دمر الملك الآشورى سنحاريب جميع معابد بابل وزقورتها • وحل بها الخراب أثناء الحرب الاهلية التى نشبت بين الملك آشور بانيبال وأخيه شماش شموكين وذلك أثناء الحصار الذى ضربه الآشوريون على بابل من ٦٥٢ حتى ٦٤٨ ق•م• وهدمها الملك الاخمينى اكزركسس (احشويرش) سنة ٤٧٨ق.م بعد اخماده الثورة التى قامت ضد حكمه فى بابل وأخذ تمثال الاله مردوك • وبقيت مهدمة حتى أن الاسكندر الكبير وجدها حينما دخل بابل فاتحا ، كومة كبيرة من الانقاض •

ومثلما كان تهديم زقورة بابل من قبل الفاتحين وسيلة للانتقام من البابليين ، فقد كان تعميرها وترميمها مجلبة لرضائهم • فالملك أسرحدون أعاد بناءها وبناء مدينة بابل بكاملها بعد أن كان والده سنحاريب قد دمرها برمتها • وقد بدأ بناء المدينة ومعابدها وبرجها سنة ٦٨١ ق•م• وفى سنة ٦٦٨ ق•م• أنهى بناء الزقورة • وكان للزقورة أهمية أخرى بالاضافة الى أهميتها الدينية فقد ساعدت الكهنة على مراقبة السماء موطن الآلهة وسير الافلاك فيها ولذلك فقد كان لها أثر كبير فى تطور علم الفلك عند البابليين حيث اتخذت مراصد للنجوم والكواكب • فالمؤرخ الرومانى ديودور الذى عاش سنة ٦٠ ق•م• يذكر ان الكلدانيين اتخذوا برج بابل مرصدا لرصد الافلاك وتعيين مواقيت ظهورها واختفائها [٦]• واتخذت الزقورة واسطة

---

(٦) راجع :ـ .....ZDMG, 53, 659, 13, 19.; VAB. II, 9.

لتنبيه المدن الاخرى بخطر هجوم معادى بطريقة اضرام النار ليلا وارسال الدخان نهارا ، كذلك كانت واسطة لاعلان حلول الاعياد والاحتفالات • كذلك كانت تتخذ ملجأ من الفيضانات •

شكل الزقورة وأوصافها

ان معلوماتنا عن شكل زقورة بابل وأوصافها تعتمد على مصادر خمسة وهى :ـ

١ـ المعلومات المستمدة من التوراة •

٢ ـ الاخبار الاغريقية والرومانية وبالاخص ماكتبه عنها هيرودوت•

٣ ـ الوثائق والنصوص المسمارية ولا سيما رقيم الطين الذى كتبه الكاهن آنو ـ بيل ـ شونو (آنو بعل شونو) •

٤ ـ نماذج الطين التى تصور شكل الزقورة بصورة عامة •

٥ ـ بقايا الزقورة والحفريات التى جرت فيها •

فالمصدر الاول ، وهو التوراة لم تتحدث عن الروعة الفنية التى تتمثل فى هندسة البناء الراقية للزقورة • ولم يصف شكلها كما لم يذكر الاهداف الدينية ذات الصلة الوثيقة بمعتقدات سكان بلاد وادى الرافدين المتوارثة من آلاف لسنين ، وهى انما شيد هذا البناء الضخم الشامخ فى العلو لكى تكون دعوات الناس منه ، قريبة من إله السموات • ثم لكى ينزل اليه يستقبل دعواتهم وصلواتهم ويسبغ عليهم رحمته عند اشتداد الازمات بهم • بل انما نجد التوراة قد صورت الزقورة بمثابة بناء شامخ شيده مارق بابلى كافر ، لكى يقتحم منه أبواب السموات ويصعد الى الاله الذى يحكم الكون وينزله عن عرشه • ولم يكن فى الواقع للتوراة ان تتحدث عن الزقورة غير هذا الحديث لأن اليهود الذين ساقهم نبوخذنصر أسرى الى بابل وكان عددهم حوالى ٧٢ ألفا ، شغلهم فى بناء الزقورة ولذلك فان ذكراها لم تكن عزيزة على قلوبهم ، مفرحة لنفوسهم •

أما المصدر الثانى الذى يعتمد على الاخبار الاغريقية والرومانية فينحصر فيما كتبه هيرودوث عن زقورة بابل وما أورده ديودور ، المؤرخ

اليونانى الذى عاش فى روما فى القرن الاول قبل الميلاد ، فى كتابه « المكتبة التاريخية » من أخبار بابل وزقورتها نقلا عن تسياس Ktesias الطبيب اليونانى فى البلاط الاخمينى سنة ٤٠٠ق.م. على ان أهم من وصف زقورة بابل وصفا دقيقا هو المؤرخ هيرودوت ولـكنه اورد فى وصفه بعض الاخطاء لانه اعتمد فى استقاء المعلومات والتفاصيل عن الزقورة على احد الاهلين ولا سيما المعلومات المتعلقة بالقياسات التى لم يتحققها بنفسه • ولا شك ان للزمن الذى زار فيه هيرودوت بابل أثر كبير فى تقديم الصورة الحقيقية عن البرج• فلقد زار بابل بين سنة ٤٧٠ و ٤٦٠ ق•م• أى بعد مرور اكثر مـن قرن من الزمن على عصر نبوخذ نصر الذهبى الذى أعاد فيه تشييد بناء الزقورة ولذلك فان اشياء كثيرة بدت لهيرودوت مغايرة للصورة الاصلية للزقورة فى ايام نبوخذ نصر • فكان بعض اقسامها قد تهدم وبعضها قد تغير عن شكله الاصلى بسبب الثورات الـكثيرة التى نشبت فى بابل تحت حكم الاخمنيين • كما ان بعض معالم المدينة قد تبدلت عن وضعها الذى كانت عليه فى زمـن نبوخذنصر • فمن ذلك ان نهر الفرات كان عند زيارة هيرودوت قد اصبح فى مكان غيره فى زمن نبوخذنصر • وهكذا نجد اختلافا فى بعض المعلومات التى سجلها هيرودوت عن الزقورة وعن المدينة ، عما اظهرته نتائج الحفريات الالمانية فى السنوات العشر الاولى من بداية القرن الحالى •

يقول هيرودوت فى كتابه التواريخ او القصص الجزء الاول ، صفحة ١٨١ « ان نهر الفرات يقسم المدينة الى قسمين ، ففى وسط احدهما بلاط الملك وهو محاط بسور ضخم وفى وسط القسم الاخر معبـــد الاله زوس Zeus اى الاله بيل (بعل) • والمعبد بناء مربع الشكل يبلغ طول جانبين منه (طول ضلعى قاعدته) ٢ ستاديون[٧] ، أى ٣٦٨مترا • وله ابواب كبيرة

---

(٧) ستاديون Stadion مقيـاس يونانى يعادل ١٨٤ مترا ويذكر العلامة Meissner ان الجهة الشرقية من المعبد لا تكون جانبا من مربع كامل اى ان زوايتيها ليستا قائمة تماما • ويبلغ طولها ٤٠٩ مترا •
Meissner, Babylonien u. Assyrien. I, S. 314, MDOG 29, 36.

من البرونز وكان لا يزال قائما في زمانى • ويقوم فى وسط المعبد صرح صلد مربع الشكل بستاديون واحد[٨] • وقد اقيم فوقه صرح آخر وعلى الثانى صرح ثالث وهكذا حتى تصبح ثمانية صروح • ويصعد الى هذه الصروح الثمانية بطريق حلزونى يلف حولها من الخارج • وفى منتصف الطريق مقاعد وضعت لمن يريد الاستراحة • ويقوم فوق قمة الصرح الاخير معبد كبير فيه سرير واسع جميل مزين بزخارف ثمينة كثيرة وبجانبه منضدة من الذهب • وليس فى هذا المعبد محراب تمثال ولا يبيت فيه احد ما خلا (اذا ما صدقنا الكلدانيين كهنة بل) امرأة بابلية ، يقول عنها كهنة الاله ، ان الاله مردوك قد اختارها من بين النساء البابليات لتكون فى خدمته اثناء الليل اذا ما نزل من السماء الى معبده العالى • ويقول الكلدانيون ـ وأنا لا اصدقهم ـ بان الاله يدخل المعبد بزي شخص ويستريح على السرير » •

ويستطرد هيرودوت فى تفسير وجود الامرأة فى معبد الاله مردوك العالى فيقول :ـ

« وهناك قصة مشابهة سمعتها من المصريين فى طيبة ، من ان امرأة تقضى دائما الليلة فى معبد الاله زوس اله مدينة طيبة ومحرم عليها (هكذا يقولون) ، ان تضاجع الرجال مثل الامرأة فى المعبد فى بابل[٩] •

وذكر ديودور الذى عاش سنة ٦٠ ق•م• فى تاريخه المجلد الثانى ص٩ Diodor, Historical Bibliothek, II, p. 9.

فى معرض كلامه نقلا عن تسياس Ktesias الذى كان طبيبا يونانيا فى البلاط الاخمينى سنة ٤٠٠ ق•م• وزار بابل عدة مرات ، ذكر يقول « ولقد شيدت (سميراميس)فى وسط المدينة(بابل)معبدا للاله زوس

---

(٨) ويقصد أن طول القاعدة المربعة وعرضها يبلغ ستاديونا واحدا أى ١٨٤ مترا وبعبارة اوضح ان طول ضلع قاعدته المربعة ٩٢ مترا وهو المقياس الذى يتفق تقريبا مع الابعاد التى حققتها البعثة التنقيبية الالمانية فى بابل •

(٩) راجع :ـ Herodot, I, p. 181.

الذى يسميه البابليون بيلوس (بعل) • ولقد اختلف الرواة فى سرد الحقائق عن هذا المعبد وبنائه الذى تداعى بسبب تقادم الزمن عليه ولكنهم يتفقون بان البناء كان عاليا جدا وفوق حد التصور بحيث كان باستطاعتهم مراقبة النجوم من وقت طلوعها حتى ساعة افولها • وكان البناء مشيدا بالقار والآجر ، بهندسة جميلة • وفى اعلى صرح من صروحه ثلاثة تماثيل من الذهب للاله زوس وهيرا Heara وريا Rhea (١٠) •

نستنتج من رواية ديدور ان زقورة بابل كانت مهدمة فى زمن الطيب الاغريقى تسياس وبقيت هكذا الى النهاية فبعد مرور جيلين على هذا الوصف نجد فى تدوين المؤرخ سترابو ، أن الاسكندر الكبير عند دخوله بابل وجد زقورتها قد تهدمت عن آخرها واراد اعادة بنائها ولكن الاجل لم يمهله •

اما المصدر الثالث الذى يعتمد على النصوص المسمارية فى وثائق التشييد التى سجلها الملوك الآشوريون والبابليون فى الفترة المتأخرة من التاريخ الآشورى وفى زمن دولة بابل الثانية ، وهم الملك اسرحدون الاشورى ونابو بولصار مؤسس الدولة البابلية الثانية وابنه نبوخذنصر ، ثم رقيم الطين الذى عثر عليه ومصدره من الوركاء وكان قد كتبه احد كهنة الوركاء • وهو انوبيل شونو Anu-bel-Sunu • وتعتبر محتوياته اهم المعلومات التى دونت عن زقورة بابل ومواصفاتها • وقد استنسخه آنوبيل شونو عن رقيم طين قديم يعرف باسم رقيم ايزاگلا لانه يصف فى الفقرات الثلاث الاولى معبد ايزاگلا الذى يقع مقابل الزقورة اى تمينانكى • والرقيم المستنسخ يعود الى السنة ٨٢ من الحكم السلوقى

---

(١٠) هيرا Hera : الهة الام عند الاغريق ولاشك أنه يقصد الالهة سرپانيتم Serpanitum زوجة الاله مردوك • اما ريا فهى بحسب الاسطورة الاغريقية ابنة اورانوس وزوجة كرونوس ووالدة زوس •

ولا نعرف ماذا يقابلها فى معتقدات بلاد وادى الرافدين ولعله يقصد الالهة اننا (عشتار) •

وقد دوّن فى اليوم ٢٦ من شهر كيسلمو • اى فى ١٢ كانون الاول سنة ٢٢٩ ق•م• فى زمن حكم الملك السلوقى سلوقس كلينيوكس ، ويسجل فيه ابعاد اضلاع طبقات الزقورة وارتفاعاتها ويذكر انها تتألف من ست طبقات ومن مخدع الاله مردوك المكون من طبقتين ، وان هذا المخدع يكون نهاية البرج ويتألف من صحن وست غرف ، فيها محاريب وغرفة للنوم (مضجع) ومدخل وغرفة للمؤن والهدايا • وقد جاءت القياسات مقاربة لقياسات بعثة التنقيب الالمانية لقاعدة الزقورة(١١) •

ان الفقرتين السابعة والثامنة من رقيم آنوبيل شونو تذكر مواصفات الزقورة بالمقياس البابلى وهو العامود المضاعف ولعله المردى الذى يستعمله السفانون واصحاب المشاحيف والابلام • وبذلك اعطيت الابعاد لكل طبقة من طبقات الزقورة بالمقياس المذكور • وهى كما يلى :ـ

الطبقة الاولى او الطبقة الارضية : الطول ١٥ عامودين والعرض ١٥ عامودين والارتفاع ٥١/٢ عامودين •

الطبقة الثانية : الطول ١٣ عامودين والعرض ١٣ عامودين والارتفاع ٣ عامودين •

الطبقة الثالثة : الطول ١٠ عامودين والعرض ١٠ عامودين والارتفاع ١ عامودين •

الطبقة الرابعة : الطول ٨١/٢ عامودين والعرض ٨١/٢ عامودين والارتفاع ١ عامودين •

الطبقة الخامسة : الطول ٧ عامودين والعرض ٧ عامودين والارتفاع ١ عامودين •

الطبقة السادسة : الطول ٥١/٢ عامودين والعرض ٥١/٢ عامودين والارتفاع ١ عامودين •

---

(١١) راجع :ـ

MAI. XXXIV, 293 ff.; t. 25 ff.; MDOG 59; WB. 179 ff; Rs. 1 ff.; 2 P. 45; OLZ. XVII, 201.; Fritz Krischen, Weltwunder Der Baukunst in Babylonien und Ionien, 12 ff.

الطبقة السابعة وعليها المعبد العالى وهو مكون من طبقتين :ـ

الطبقة الاولى : الطول ٤ عامودين والعرض ٣¾عامودين والارتفاع ٢½ عامودين • وفوق هذه الطبقة غرفة عليا (عليه) تتوسط الطبقة السابعة او الطبقة الاولى منها وتعرف بالمعبد العالى •

ثم تنتهى كتابة رقيم الطين المذكور بالعبارات التالية :ـ

الحكيم يُرى (هذا اللوح) حكيما ،

أما الجاهل فلا يجب ان يراه ،

ان هذا الرقيم هو طبق نسخة رقيم بورسيبا وقد استنسخ وقورن معها ونظر فيه • الوركاء شهر كيسلمو ، يوم ٢٦ سنة ٨٣ (من حكم) سلوفس (الثانى) الملك •

يتضح من هذا الرقيم أن مدرجات الزقورة أى طبقاتها هى سبعة وليست ثمانية كما ذكرها هيرودوت • ولعله اخطأ فى عدها او انه حسب معها المعبد العالى • والمعروف ان العدد (سبعة) من الارقام المقدسة عند البابليين لان عدد طبقات السماء وكذلك الارض هو سبعة لذلك فان طبقات الزقورة كانت بعدد طبقات السماء وكل طبقة منها كانت تحاكى طبقة من طبقات السماء • ولما كان مقر الاله فى آخر طبقة من الطبقات السبع لذلك فقد صار مقره او عرشه ، المعبد العالى فوق الطبقة السابعة • وتدخل الطبقة السابعة ضمن المعبد العالى ولذا فقد أصبح المعبد العالى مكونا من طبقتين ارتفاعهما ٢½ عامودين اى خمسة اعمدة •

وبالنظر الى ان الحفريات التى اجراها المنقب الالمانى روبرت كولدوفاي فى بابل وزقورتها بين مستهل القرن العشرين وسنة ١٩١٣ ، قد اظهرت أن طول ضلع القاعدة المربعة الشكل هو ٩١٫٥٠ مترا فيكون عندئذ طول العامود البابلى الذى ذكره آنوبيل شونو ٣٫٠٥ مترا وعندئذ تصبح قياسات الزقورة مقاربة للقياسات التى حققتها البعثة الالمانية وهى كما يلى :ـ

الطبقة الاولى : الطول ٩١٫٥٠ م والعرض ٩١٫٥٠ م والارتفاع ٣٣٫٥٥ م

الطبقة الثانية : الطول ٧٩٫٣٠ م والعرض ٧٩٫٣٠ م والارتفاع ١٨٫٣٠ م

الطبقة الثالثة : الطول ٦١ م والعرض ٦١ م والارتفاع ٦٫١٠ م

الطبقة الرابعة : الطول ٥١٫٨٥ م والعرض ٥١٫٨٥ م والارتفاع ٦٫١٠ م

الطبقة الخامسة : الطول ٤٢٫٧٠ م والعرض ٤٢٫٧٠ م والارتفاع ٦٫١٠ م

الطبقة السادسة : الطول ٣٣٫٥٥ م والعرض ٣٣٫٥٥ والارتفاع ٦٫١٠ م .

الطبقة السابعة : وهى المعبد العالى المكون من طبقتين : الطول ٢٤٫٤٠م والعرض ٢٤٫٤٠ م والارتفاع ٢٢٫٨٧ م .

وتدل النصوص المسمارية ان المعبد العالى كان مشيدا بالآجر الازرق المزجج وانه كان يدعى بالمعبد المضيء . فقد ذكر الملك الآشورى أسرحدون (٦٨٠–٦٦٩ق.م) بأنه شيد برج بابل وأقامه من أساسه وجعل قاعدته المربعة الشكل حوالى ٩٠ مترا[١٢] . كذلك تذكر النصوص المسمارية بأن البرج شيد على قاعدة من اللبن كسيت جوانبها بالآجر وجعلت لها ثقوبا لتصريف مياه الامطار وأن ارتفاعها ٢٠ مترا ثم رفعت في الادوار البابلية المتأخرة الى ارتفاع أكثر وان « قمة البرج شيدت من الآجر المزجج الازرق وبنى فوق هذه القمة المعبد المضيء من الآجر المزجج الملون باللون الازرق » . ولا شك ان القمة كانت الغرفة العالية القائمة فوق المعبد وكانت مضجع الاله . اما اللون الازرق فقد كان من الالوان المقدسة فى بلاد وادى الرافدين لانه لون السماء مقر الآلهة ولذلك فقد كان لون المعبد العالى ازرقا لكى يحاكى لون السماء بحيث ان الناس فى الارض اذا ما انظروا اليه حسبوه متصلا بالسماء فهم لا يستطيعون رؤية الاله مردوك والالهة الاخرى عند نزولها الى الارض عن طريق الزقورة ومعبدها العالى .

---

(١٢) راجع :– BA. III, 250, VI, 20 ff.

ومن المحتمل ان تكون فوق مخدع الاله مردوك (مضجعه) قرون كالتى نجدها فى احدى المنحوتات الآشورية من الفترة المتأخرة والتى تصور زقورة آشورية وهذه القرون هى رمز الالهة بصورة عامة ورمز الاله مردوك كذلك • وكانت لمدينة سوسه زقورة لها قرون من البرونز مغروسة فى سطح مخدع الهها الرئيسى وقد انتقلت هذه الفكرة الى المسلمين فدخلت فى العمائر الدينية كالمساجد والاضرحة • فالمنائر واقبيةالمساجد تنتهى بهلال من البرونز الذى اتخذه المسلمون شعارا لهم ، وهو يرمز الى الاله القمر (سن) فى بلاد وادى الرافدين وفى حران شمال سوريا[١٣] •

وكانت الزقورة تمثل مكانة مقدسة فى معتقدات سكان بلاد وادى الرافدين ولا سيما السومريين • وقد بنيت بهذه الصورة لكى تكون بمثابة الجبل • فزقورة الاله إنليل ، اله العواصف والزوابع فى نيبور (نفر) كانت تسمى « بيت الجبل » ، جبل العواصف والزوابع والرباط القائم بين السماء والارض • وللجبال مغزى دينى فيمعتقدات سكانبلاد وادىالرافدين لانها بمثابة الاوتاد التى توازن الارض وتمسكها عن الميلان • وفيها تكمن اسرار القوى الخفية للحياة التى تديم الخضرة فى الربيع والخريفوتحمل الماء فى وديان الانهار اليابسة وترسل الامطار فتحيى الارض بعد موتها • وللجبال الهة هى الالهة نن خرصاك (سيدة الجبال) ، التى تسمى بالام العظيمة •

اما المصدر الرابع الذى يعتمد على نماذج الطين والمنحوتات الحجرية والآثار الباقية من الزقورات الكثيرة التى شيدت فى بلاد الرافدين فى فترات متفاوتة من تاريخه القديم الطويل بحيث اصبح فى القرن السابع قبل الميلاد لكل مدينة زقورة ، فان المعلومات المتوفرة لدينا قليلةاذ لم تبق زقورة كاملة من بين هذا العدد الكثير من الزقورات التى كانت تنتشر فى ربوع

---

(١٣) راجع :-
VAB, IV, 148, III, 26; VAB. IV, 98, II, V 3, 9, I, 2 9, 32, 42, 98, 114, 126.

العراق القديم كما تنتشر اليوم ناطحات السحاب فى امريكا • والزقورة الوحيدة من بين زقورات اريدو والوركاء ونفروبورسيبا وسپار ودوركورى كلزو (عقرقوف) وآشور وكارتكولتى نن اورتا ونمرود وخرصباط ، التى بقيت قاعدتها ومدرجاتها هى زقورة اور ، كذلك لا توجد هناك صورة لزقورة فى المنحوتات الحجرية التى عثر عليها المنقبون لحد الان ما خلا منحوته من الفترة الاشورية المتأخرة من القرن السابع (؟) ، تمثل برجا مكونا من اربعة طوابق وله مدخل فى الوسط يكون الدرج الوسطى ثم درجان جانبيان يؤديان الى الطابق الاول فقط[١٤] • ثم هناك صورة زقورة منحوتة على حجر حدود (كدورو) يعود الى الملك مردوك پلادان الاول (١١٧٦-١١٦٤ق.م) ووجد المنقب الالمانى اندرى فى أثناء أعماله التنقيبية فى آشور ، نماذج من الطين لبيت مكون من اربعة طوابق يظن انه يرمز الى شكل الزقورة يتبين من جميع ما تقدم ان الزقورة عبارة عن مصطبة كبيرة مربعة الشكل تحمل الصرح المدرج ، يحيط بها سور كبير ليفصلها عن بقية اقسام المدينة • وقد بنيت هذه المصطبة الضخمة او القاعدة مع الابراج التى تقف عليها : الواحدة فوق الاخرى كصناديق لعب الاطفال المتفاوتة فى الحجم ، من اللبن بهيئة دكات كبيرة ووضع بين طبقات اللبن الحصير والقصب والبردى لزيادة التماسك • وتركت فتحات فى جوانب البرج وعلى طول ضلعه بابعاد وارتفاعات معينة لتصريف مياه الامطار • وقد دعاها المستر وولى الذى نقب فى اور بـ « الثقوب الباكية » • وكسيت جوانب الزقورة من الخارج بغلاف من الآجر • ويصعد الى طبقاتها من درج وسطى ودرجين جانبين تستند على بناء مرتفع واجهته مستطيلة الشكل كما فى زقورة اور ، ثم تستمر هذه الدروج بنفس الطريقة التى تظهر فى واجهة الزقورة • او

---

(١٤) راجع :-
Dombart, Zikkurat et Pyramide, 42. ff.; 14. MEISSNER, Babylonien und Assyrien, I, Abb 117.; MDOG, 53, 51.

تتخذ شكلا حلزونيا كما فى ملوية سامراء التى لا يشك فى انها بنيت بحسب مخطط الزقورة ومن مدرجات ستة (حلزونات) وغرفة عالية •

ومن الجدير ذكره ان المصطبة الكبيرة او الدكة الضخمة التى تحمل الصرح المدرج أثرت فى العمارة الاسلامية ولاسيما فى فن العمارة للمساجد اذ كانت اساسا لمخطط المنارة وقاعدتها • فالمنارة فى الحقيقة هى برج المسجد او الجامع فمثلما كانت الزقورة تبنى فى مقدمة المعبد ببعد يسير كذلك فقد وجدنا ان المنارة تبنى امام المسجد وهذا ما نراه واضحا فى ملوية سامرا وجامعها الكبير (جامع المتوكل) •

اما المخدع او الغرفة العالية الواقعة فوق المعبد والتى تكون قمة الزقورة فكانت تعرف باسم شاخورو Sahuru ومعناه غرفة الانتظار او غرفة الاستقبال التى يمر منها الاله عند نزوله من السماء • وهذه الغرفة موجودة كذلك فى المعبد الارضى تعرف بالاسم نفسه وتكون فى هذه الحالة الغرفة التى تتقدم المصلى او قدس الاقداس ، فقد كان ينتظر فيها الكهنة والمتعبدون حتى يفتح رئيس الكهنة (الاوريگللو) لهم باب قدس الاقداس الذى يحوى تمثال الاله[١٥] •

لقد حاول عدد غير قليل من مشاهير الرسامين الاوربيين ان يتخيلوا للزقورة من وصف هيرودوت وديودر وغيرهما من المؤرخين الاقدمين صورة مطابقة للحقيقة والاصل وفى مقدمتهم الرسام الهولندى بروغل Brughel (١٥٢٥-١٥٦٩) الذى عاش فى فينا • فقد رسمها بشكل حلزونى • ثم الرسام فلكنبورش Valkenborch (١٦٥٤٠ - ١٦٢٥) الذى رسم صورة زيتية لزقورة بابل ولكنه أضفى عليها كثيرا من الخيال الجميل الرائع وهندسة البناء للملاعب الرومانية •

---

(١٥) راجع :-

Frankfort, Art and Architecture in Mesopotamia, p. 6. ff.

وحاول عدد آخر من علماء الآثار ان يتخيلوا صورة لزقورة بابـــل مطابقة للاصل معتمدين على وصف المؤرخين والنصوص المسمارية واخبار ملوك وادى الرافدين القدامى امثال دومبارت Dombart وشـــــيبى Chepiez وكولدوفاى واونكر • على ان الصورة التى تخيلها البروفسور اونكر اصبحت هى المعول عليها لانها جاءت مطابقة للحقيقة اكثر من غيرها •